

الشخصية في رواية "زينب وماري وياسمين" لميسلون هادي بحث في الموقع والتشكل والدلالة

الاستاذ المساعد الدكتور

عقيل عبد الحسين خلف

جامعة البصرة-كلية الآداب-قسم اللغة العربية

ملخص البحث باللغة العربية:

البحث في رواية "زينب وماري وياسمين" للروائية العراقية ميسلون هادي، وهو يحاول متابعة عنصر الشخصية في العالم الروائي من حيث الموقع والدلالة. ويتضمن البحث: أولاً: مدخلاً عاماً عن الرواية وسبب اختيار عنصر الشخصية للبحث فيه. ثانياً: مناقشة مفهوم الشخصية في الرواية عبر السرديات الحديثة البنوية والسيمائية خاصة، واقتراح فهم آخر أكثر إنسانية يتلاءم مع تطورات الرواية العراقية الحديثة وتوجهاتها إلى مناقشة القضايا الإنسانية التي تطرح نفسها بشدة الآن، ومنها الهوية والتيارات الفكرية الحادة وغيرها من الأمور التي لم تعد الرواية، كصنافة شكلية محددة تتضمن إحالات بعينها تنتج دلالات شبه ثابتة، بقدرة على الإستجابة لها والتضحية، من أجلها، بانتمائها لبيئتها الإجتماعية والثقافية بما تشهده من تحولات مستمرة ومصيرية. ثالثاً: إنطلاقاً من حيوية الشخصية وإنسانيتها إقترح البحث تقسيم الشخصية في الرواية موضوعه، ومن خلال موقعها، على قسمين: أ. داخل المشهد (وأعني به المشهد الأيديولوجي والثقافي العراقي القائم على تمايزات دينية وإجتماعية وسردية) وتنقسم فيه الشخصية بدورها على قسمين: الأول: شخصية متكلمة لا فاعلة تكتفي بالحكي وتمثله شخصية الأم المسلمة لياسمين زينب وأما أي جدة ياسمين (صبيحة).

الثاني: شخصية فاعلة متحركة وإيجابية دائمة التحول إلى أوضاع أفضل وتأبى القبول بالواقع أو تسلم للظلم والقهر، وتمثلها الأم الأصلية لياسمين، وهي ماري المسيحية. والشخصيتان ضروريتان الأولى لمدّ الرواية بالسرد والثانية بالفعل والحركة. وهما ضروريتان في رسم ملامح المشهد العراقي الراهن واختلافاته ومشكلاته. ولكن الأهم من ذلك هو القسم الثاني من الشخصية أي الذي يقع:

ب. خارج المشهد وتمثله ياسمين التي تقوم بالسرد الذي يرسم ملامح المشهد العراقي ويبين مشكلاته ويقدم في الوقت ذاته الحلّ المقترح للأزمة متمثلاً كما يرى البحث بضرورة الإنتماء إلى سرديات الهوية مهما كانت حزينة ومأساوية وتمثلها والإستفادة من الأفاق المستقبلية التي يقدمها الآخر. أي التمسك بالهوية وتقبّل التغيير الذي يصنع مستقبلاً أفضل.

Character in the novel "Zainab and Mary and Jasmine" to Maysaloon Hadi

Search the local, conformation and significance

D.Aqeel Abdul-Hussein Khalaf
Basra University / College of Art
Department of Arabic Language

Summary:

Search in the novel "Zeinab and Mary and Jasmine" to the Iraqi novelist Maysaloon Hadi, as he tries to follow a personal novelist in the world in terms of location and significance. The research includes:

First: an input-year-old from the novel and the reason for choosing a personal element to search it.

Second: to discuss the concept in the novel through personal narratives of modern structuralism and semiotics in particular, and to propose a more humane understanding last in line with the developments of the modern Iraqi novel and orientations to discuss humanitarian issues that present themselves strongly now, including the identity.

Third: the basis of personal vitality and humanity personal research division proposed theme in the novel, and through its location, on two parts: A. Within the scene (and I mean the ideological and cultural landscape Iraq based on religious distinctions, social and narrative) and a personal turn divided into two categories:

I: Personal speaking not only.

II: animated character actor and positive permanent shift to better conditions and refuse to accept reality or receipt of injustice and oppression, represented by the original mother Yasmin, Christian, Mary.

B. Outside the scene represented by Yasmin that you enlist, which lays out the Iraqi scene shows the problems and at the same time provides the proposed solution to the crisis represented Search also sees the need to belong to whatever identity narratives sad and tragic and assimilate and take advantage of the prospects offered by the other. Any stick to the identity and embrace change that makes a better future.

مدخل:

أعترف أن رواية زينب وماري وياسمين^(١) رواية احتاجت مني إلى الكثير من التأمل والتأني. فهي مبنية بطريقة أقرب إلى العفوية منها إلى التدقيق في كل مكونات العالم الروائي وإخضاعه لحركة صارمة توخياً لإنتاج دلالات بعينها تخص الراهن العراقي، الديني والمذهبي والفكري المعقد، رغم أنها تتطوي على أسئلة تتصل بكل تلك الأمور. وعندني أن هذه العفوية جعلت القارئ أمام رواية ممتعة مشوقة قل أن تجد لها نظيراً في السردية العراقية الحديثة، التي تعاني كما يرى بعضهم من ضعف الجانب التشويقي مما كان سبباً من إنصراف القراء عن الرواية وتراجع أهميتها الثقافية ومردودها المادي معاً وصولاً إلى انحسار الإقبال عليها من الكتاب الذين صاروا يميلون إلى القصة القصيرة أكثر^(٢).

وبالمقابل جعلت الرواية الباحث أمام مهمة عسيرة بما أنه مطالب بحكم عمله بإخضاع الرواية لمنطق عام تسيير عليه أفعال الشخصيات وتصرفاتها وصولاً إلى كيفية إنتاج الدلالة. وهو ما دعاني إلى إعادة النظر في هيكل البحث أكثر من مرة وصولاً إلى صياغة منهجية ونقدية أقرب إلى

روح الرواية، موضوع البحث، الأمر الذي أكد عليه مبدئياً وفي جميع الحالات مع صعوبته هنا وأهميته في الوقت ذاته.

لقد وقع اختياري على الشخصية في رواية ميسلون هادي "زينب وماري وياسمين" لأسباب عديدة منها:

- إن عنوان الرواية يشير صراحة إلى أدوار مرتقبة للشخصية، مهمة، حكاية ودلالية، داخل العالم الروائي وبالنسبة للقارئ، فهي تدور في الأساس على ثلاث شخصيات أساسية هنّ زينب وماري وياسمين.

- إن العالم الروائي يقوم على شخصية أساسية ساردة بالوكالة هي ياسمين تقوم بمهمة الراوي الأمين عن زينب وهي الأمّ الخطأ لها. وما تعرضت له أمّها، وهي من بعدها، من ظلم على يدّ أسرتها التي ارتضت لها أن تكون عوضاً في حادثة قتل لتضطر هي وأمّها (أي زينب وأمّها صبيحة) إلى الهرب إلى بغداد وتعيشان ظروفاً صعبة للغاية. ثم تتزوج زينب برجل سكير يؤذيها ويهينها^(٣). فلا تجد غير سرد الحزن والألم وسيلة للتخفيف عنها، وعلى مسامع ابنتها التي تتماهى عاطفياً معها وتتشكل إنسانياً على رؤية الأمّ فتبدأ أولاً بالنفور من الشخصيات الذكورية كالأب والأخ اللذين يمارسان عليها سلطة المنع والحبس والضرب خوفاً على شرفهما لا سيما وأنها فتاة مشتهاة وجميلة. فالأب يقول للأمّ إن ياسمين يجب أن ترتدي الحجاب لأنّها بيضاء أولاً ولأنّ عينيها خضراوان ثانياً. ويضربها أخوها مصطفى أمام صديقها تبارك لأنها يجب أن ترتدي الجلباب فوق ملابسها ((أولاً لأنّ ملابسها تشف وثانياً لأنها تجعل الجميع ينظر إليّ على الدوام))^(٤). ثم بعد ذلك حين تعود إلى أسرتها الأصلية، المسيحية، ترفض التماثل المحتمل والضروري مع شخصية الأمّ الحقيقية المسيحية ماري لأنها من طراز آخر امرأة مسيطرة على البيت والزوج والعائلة تمتلك بيدها حرية القرار والخيار والهجرة والعودة كزائرة إلى بغداد. والكلّ يطيعها وينفذ مخططاتها بما فيهم الأب والأخ إلا ان ياسمين ترفض كلياً ما تريده ماري فهي ترفض الهجرة وترك العراق، كما تصرّ على الزواج من حبيبها رغم ممانعة الأمّ وتزوج منه وتعيش معه في بغداد^(٥).

- لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هناك عدداً كبيراً من الشخصيات كالفاتة البديلة (وهي بذات الأسم أي ياسمين) التي يتم استبدالها بياسمين، الساردة، يوم ولادتهما. وهي في الأصل ابنة العائلة

المسلمة الفقيرة الشعبية. وهناك أيضاً صديقات ياسمين والجارّة (أسامي) التي تتعرف عليها ياسمين بعد أن تعود إلى أسرتها الأصلية وهي صحافية ومثقفة تتولى كما يبدو نشر قصة زينب وماري وياسمين، وحببها (كافي الكيلاني) الذي يدفع ثمن موقفه الوطني المتمثل بإصراره على البقاء في العراق وقت الحرب الإيرانية العراقية وعدم التخلي عنه ليُزجّ به في الحرب وينتهي إلى الأسر ليعود محطماً في التسعينيات وفي زمن الحصار فيقرر الفرار إلى دولة أجنبية ويموت هناك أخيراً دون أن يتزوج من المرأة التي أحبها.

الشخصيات لا تأتي خالية من الحمولة الثقافية أو الإنسانية. وليست مجرد فواعل يمر من خلالها الفعل أو الحدث إلى ما بعده كما هو الشأن في الرواية التقليدية، ولكنّها على العكس أشبه بدوائر دلالية كبرى متميزة ومتقاطعة لا تلتقي إلا سردياً وعبر ذات هي ياسمين تضعها يدّ الصدفة في مساحة صغيرة بين تلك الدائرتين وتُمكنها من التنقل بينهما سردياً لإعادة التفكير فيما لا يمكن التفكير فيه بغير السرد ولاقتراح الحلّ الذي يأتي في آخر الرواية بطريقة تلميحية فعندما تغادر ياسمين المصح مع ابنتها يحدث الآتي: ((لقد نسيتم حجاب زينب (طفل من المصح وهو يركض وراء سيارة ياسمين). توقفي يا ياسمين (أسامي تقول لها). ولكن لم اتوقف (ياسمين تروي))^(١).

أما الدائرتان فتعودان (وبدون إعلان) إلى تمايزات المجتمع العراقي التي ظهرت ما بعد ٢٠٠٣ بشكلها الحاد والصدامي. وأعني بها التمايزات الدينية وما يتصل بها من اختلافات إجتماعية ومناطقية وثقافية. فالأسرة المسلمة التي تجد ياسمين نفسها فيها هي أسرة فقيرة تعيش في حيّ فقير وتنتمي إلى تراث القمع والظلم للأنثى وهي متخلخلة إجتماعياً وقيماً. أما الأسرة التي تعود إليها ياسمين فعلاً فهي أسرة مسيحية تعيش في حيّ راقٍ ولها وضع ماديّ مريح وتتولى شؤونها الأمّ ماري وتخطط لأفرادها. وهاتان الأسرتان لا تلتقيان فعلياً أو على أرض الواقع ولكنهما تلتقيان سردياً ومن خلال ياسمين التي تأخذ سردياتها من جدتها (صبيحة) وأمّها الخطأ زينب، وتأخذ فعلها من أمّها الأصلية ماري. فهي رمزياً تنتمي إلى موروث الحزن الشعبي، وهو ما قد يؤثر في خياراتها، ولكنّها، خياراتها، وهذا ما تعلمته من ماري. ومهما تكن النتائج فهي تختار زوجها وتفشل فتنتهي بالطلاق وبطفلة معاقة عقلياً إلا انها لولا ذلك لما كان لها أن تقترح الحلّ لمأزقها الذي هو بشكل ما مأزق العراق ككل. ولا أقول مأزق المرأة.

إذن، تقوم ميسلون هاديّ بخرق الحدود القوية بين مساحتين متميزتين، إلى حدّ التضاد، من خلال حيلة تبديل الطفلتين وزرعهما في بيئتين مختلفتين مختارة البيئة المسلمة الفقيرة الشعبية منطلقاً لسرديتها ولساردتها دون الأخرى، ياسمين المسلمة التي أودعت لدى الأسرة المسيحية، ربّما لأنّ الأسرة المسيحية لا تعاني من الإضطرابات الضرورية لتوليد السرد. وربّما لأنّ السردية العراقية الطاغية بعد ٢٠٠٣ (وأقصد بها سرديات الهوية العراقية ككلّ) هي سردية إسلامية شعبية تختزلها أحسن اختزال زينب بامتدادات اسمها الشيعيّ، والشاهد على الفجيرة والموت والسبيّ والفقد في الوجدان الشيعيّ الشيعيّ. وهي سردية من الممكن أن تتحول إلى وسيلة من وسائل التناقد، فالعائلة الشيعية لم تتمسك باستعادة ابنتها الأصلية^(٧) وفضلت لها أن تعيش حياتها المعتادة، وبإزاء ذلك لم ترفض ياسمين المسيحية بعد أن عرفت أنّها ليست ابنتها. بل على العكس فقد مكّن انتماء ياسمين الأخيرة إلى سرديات أمّها الخطأ الشخصية من التماثل مع مختلف الشخصيات في العالم الروائي دون تمييز، فهي تتقبل عائلتها المسلمة كما تنتمي على مستوى الطموح إلى عائلتها المسيحية، فتختار تجاوز مشكلاتها، وتتقبل وضع ابنتها المصابة بالتوحد كما تشير إشارة رمزية إلى عزمها على تخطي مآزقها الثقافيّ والإنسانيّ مُنحازة إلى وضعها الجديد فهي ترفض العودة إلى أخذ حجاب ابنتها من المصححة التي تتعالج بها مقترحة تخطي دائرة الدينيّ الذي يتخذ شكلاً من أشكال التمرس والتمييز غير المسوغ ثقافياً وإنسانياً وغير المُجديّ للبلد.

الشخصية :

يخالف بورخس ما اعتاد عليه البنيويون من إفراغ للشخصية من محتواها الإنسانيّ للإكتفاء بأدوارها المرسومة سلفاً، فيقول إنه في رواية خرافية عنوانها شكل الحسام ((يبدأ البطل برواية مغامرته الدنيئة وهو يتماهى مع ضحيته، قبل أن يعترف بأنه في الواقع ذلك الآخر، الواشي الجبان المُتناوّل حتى ذلك الحين، مع الإحتقار اللازم، بضمير الغائب. والتعليق الأيديولوجي على هذه الطريقة السردية... ما يفعله إنسان ما، هو كما لو يفعله كلّ الناس... أنا هو الآخرون، أيّ إنسان هو كلّ الناس))^(٨).

لا أريد أن أعلّق نتائج خاصة بشخصية ياسمين في رواية "زينب وماري وياسمين" إنطلاقاً من هذا الكلام، فليست هي كلّ شخص مع أنّها تنقلت بحرية بين الحدود القاسية التي لا يستطيع غير

السرد ان يذوّبها بسهولة^(٩). فهي ابنة عائلة مسيحية تذهب إلى عائلة مسلمة وتعود إلى الأولى لتنفصل بمواقفها وحياتها ورؤيتها المستقبلية، ولكن من الناحية العامة فليس يُنكر أن هذه الرواية تحديداً تمكنت من تخطي القيود المفهومية والسردية التي كانت تُفرض في الرواية عامة والرواية العراقية خاصة على الشخصية.

فالشخصية التي عدّها جبرا إبراهيم جبرا واحدة من أكبر عيوب الرواية العراقية، بقوله إن القليل من الروائيين العراقيين ((يتابع أشخاصه وهم يتنامون ويتعارضون ويتصارعون على نطاق إنسانيّ ومجتمعيّ فسّيح))^(١٠). وهو ما يؤكد عليه قاص وروائي آخر فيقول: إن سبب شحة النتائج الروائيّ العراقيّ يرجع إلى افتقار أكثر الكُتاب إلى موهبة ((ضبط الشخصيات وتلاحمها مع بعضها ثم حبكها وفق منظور روائي))^(١١). وقد أدركت ميسلون هاديّ نفسها هذه المشكلة فهي ترى في مكان ما أن الرواية العراقية تحقق إقتراباً جيداً من الواقع والمحلية ووصف المكان وتناقش الهموم السياسية والاجتماعية للإنسان العراقيّ. ولكنها مع ذلك بقيت تُغلب التعامل الذهنيّ مع الشخصية. أو بعبارتها تبقى الشخصية الذهنية مسيطرة في الرواية ((لأن الكاتب العراقيّ لا يعتمد طريقة البحث في الكتابة، ويعتمد على خياله ومعايشاته الفردية للحدث))^(١٢).

وبالعودة إلى الحدود الأيديولوجية أو الاجتماعية أو الثقافية داخل العالم الروائيّ، فهي تأتي غالباً من تصوّر مسبق للعمل الفني على أنه شكل من أشكال التوسط كما يقول سعيد بنكراد بين العالم القيميّ والقراء، فلا بدّ من أن تقول الرواية شيئاً للقاريّ. لا بدّ من توجيه ما. لا بدّ من فكرة أو منفعة. وهي أمور لا تأتي إلا من شخص واعٍ، كاتب يمتلك القدرة على الاستفادة من التجارب والمشاهدات واستنباط قيمها أو تحويلها إلى براهين، ويمتلك المعرفة بما ينبغي أن يكون عليه العالم الأمثل، وقوانين النوع الروائيّ، وموضوعاته ومكوناته. وقارئ يعيد استنباط الدلالة، أو يستلم الرسالة المضمنة والمخبأة وراء الظواهر والأحداث والشخصيات، فكما يقول هامون ((إن درجة مقروئية هذا العالم تتحدد من خلال العناصر الثقافية المدرجة داخل النص، والمفترض أنّها مشتركة بين محفل الإبداع ومحفل التلقي))^(١٣).

إنّ هذا الأمر يتطلب، وكما يرى السرديون، إسناد أدوار معينة لشخصيات، تقوم بها. وهذه الأدوار تتصل بالدلالة العامة التي تنطوي على صراع من نوع ما بين مكونين رئيسيين أو أكثر وصولاً إلى موقف أو نهاية معينة، أو ما يسميه بنكراد البنية المفهومية التي لا يمكن أن تتضح من

غير تمثيل أو من غير صياغة سردية لأحداث تقوم بها "أنات". وبهذا تكون الشخصية ((قطباً تلتف حوله وتتبلور إنطلاقاً منه مجموعة من القيم الدلالية لتشكلها ككيان، وتتشكل عبرها كبنية دلالية كبرى تعود بنا من جديد إلى ما تم تسنيته من خلال فعل إنساني سابق. وبعبارة أخرى تتحدد الوقائع الملموسة كذريعة توصل ما هو متحقق بالحدّ اللامرئي للقيم))^(١٤).

إنّ الشخصية كما تبدو ليست حرة في حركتها وأفعالها وكلامها، لأنها تعمل ضمن محور قيميّ محدد، فهي إما خيرة أو شريرة. وما يُخلع عليها من إضافات أو تكميلات أثناء السرد لملء الفجوات وللوصول بالأحداث إلى نهايتها إنّما يأتي مما يسميه السرديون "إرغامات" مفهومية أو أيديولوجية أو دلالية مسبقة، أو ينتمي إلى سجل معروف لدى القراء غالباً ليكون ما يصدر عن الشخصية كما يرى هامون محفزاً للجهاز القيميّ وهو يأتي من خلال نظرة الشخصية وعملها وكلامها ((الذي يكشف انتماءها ومستواها الاجتماعي والثقافي))^(١٥).

تتصل هذه التصورات عن الشخصية بالتنظيرات الحديثة للرواية لا بما هي أقدم سبباً منها (كما سأشير بعد قليل) وهي إلى حدّ ما تعود إلى ما يشبه العقد الضمنيّ الذي عقده الرواية العربية في وقت ما مع القراء إذ يشير الدكتور عبد المحسن طه بدر إلى تغير الموقع الثقافي للرواية وتحولها من مكان الرفض والاحتقار إلى موقع القبول والتقدير الذي جاء نتيجة لتبنيها أدوار التنوير والإصلاح والنقد^(١٦) الذي صاحبه تطويع لبنيته السردية لتتخلص من خصائصها الشعبية كالإستطراد والتوسع والزجّ بالغريب والخرافيّ من الأحداث والشخصيات في سياق السرد. وتحولها إلى البنية السردية المكتملة والمحددة زماناً ومكاناً أحداثاً وشخصيات ورؤية، وإلى اللغة الفصحى أو القريبة منها^(١٧) وإلى تبنيها موقفاً من الأحداث والمشكلات التي تدور من حولها.

إنّ هذا العقد جعل الرواية تتمسك أكثر بورقية الشخصية (على حدّ تعبير البنيويين). فقد تحولت الشخصية إلى مفهوم الفرد ثم إلى مفهوم "الشخصية" حيث تصبح اللاشخصية مجرد علامة سيميائية عارية من كل ميزة قيمة إلا ما يمنحه إيها السياق، والحقل الدلالي كما يرى السيميائيون^(١٨)، فهي مجرد إحالات إلى قيم ودلالات؛ نقداً وتصحيحاً واقتراحاً أحياناً، أو بدون الأخير في أوقات كتلك التي أشار إليها الدكتور محسن جاسم الموسوي^(١٩)، حيث جرى بعد هزيمة ١٩٦٧ التخلي عن الرؤية التي تبنتها الرواية المحفوظية، وتمّ استبدالها بتجريب أساليب وإمكانات جديدة تشير إلى فداحة الخسارة، وإلى غياب التشخيص الدقيق للواقع، وتخلخل الذات والمواقع

التقليدية. ولكن من خلال البنية السردية الواضحة البناء ذهنياً وسردياً بمرجعياتها الواقعية أحياناً ومرجعياتها التراثية والخيالية غالباً.

قبل ذلك ربّما كان للشخصية دور آخر في العالم الروائي كما ترى فرجينيا وولف^(٢٠) ويحدد فورستر^(٢١) فهي جوهر الرواية وهي تشخيص لا يغفل الجانب الإنساني بل يُذكر به باستمرار من دون الوقوف على حدود فاصلة آديولوجيا أو دلاليّاً أو تمثليّاً. إنّها تشبه شخصية بورخس التي تنتقل بين الحدود، فهي هي، وهي الآخرون في الوقت ذاته. إنّها إلى حدّ ما شخصيات دستوفيسكي^(٢٢) التي تحيل إلى الإنساني بما فيه من غموض واضطراب والتباس وتداخل للحدود بين العقلانيّ والعاطفيّ، وبين الواقعيّ والنفسيّ. بين المسيطر عليه والمنفعل، وهي التي تنمو من خلال السرد ومن دون تحديد مسبق، وعلى حدّ تعبير القاص محمد خضير فـ ((إنّ أفضل الروائيين الذين يفكرون وهم يتقدمون مع شخصياتهم، أي وهم يسردون الخيالات كأنّها حقائق، والحقائق كأنّها خيالات))^(٢٣).

تحديدات أولية باتجاه فهم جديد لدور الشخصية في رواية زينب وماري وياسمين:

لا بدّ من الإتفاق على أنه ليس ثمة قياسات معينة للكتابة الروائية، أو لصناعة مكون من مكونات الرواية كالشخصية مثلاً، ولكن لا بدّ أيضاً من الإشارة إلى أنّ النقد أو التفكير النقديّ، لدى الكاتب، قد يشكل موجهاً عاماً للكتابة الروائية. وقد يلقي بظله على الكتاب، لا سيما وأنّ الروائي الآن مُطلّع بشكل تامّ على علوم السرديات، وما يُكتب فيها من تنظيرات وآراء. كما أنّ رغبته في المغايرة لما هو معروف من الأساليب الروائية من جهة، وإيجاد طرق جديدة في السرد أو صياغة الشخصية تكون أكثر تأثيراً وإقناعاً في التعبير عن المتغيرات التي يشهدها المجتمع. والأمران معاً يُضاف إليهما تزايد المنجز الروائي العراقيّ كما^(٢٤) جعلاً، ربّما ودون قصد، رواية كميلسون هاديّ تعيد النظر في أدوار بعض العناصر السردية وأثرها في تشكيل العالم الروائيّ وإعادة النظر من خلال ذلك في الراهن العراقيّ الحاليّ مع اقتراح موقف شفاف مما يجري.

وسيكون العنصر محلّ الإهتمام، كما أفترض، هو الشخصية، التي تنقسم في رواية "زينب

وماري وياسمين" من حيث الموقع والدور المترتب عليه على قسمين:

الأول: ما يمكن أن نسميه من داخل المشهد، فالشخصية تتحرك ضمن نسق ثقافي وإجتماعي وفكري وإنساني وسردية مرسوم مسبقاً، وهو قهري لا تستطيع أن تخرج عنه أو تنظر إلى الوقائع والحياة من خارجه أبداً، وهذا الموقع يحدد دور الشخصية التي تنقسم فيه على:

١. شخصية متكلمة تكفي بالكلام الذي تتولى الساردة الوحيدة في الرواية وهي ياسمين سرده، ولا تأتي بشيء غير الكلام، فهي تروي أحداث حياتها وخيبتها وما تعرضت له من ظلم على يد عائلتها التي قدمتها فصلاً (فدية) لعائلة أخرى قتل أخوها إبناً لهم، ثم فرار المرأة مع ابنتها وابنها إلى بغداد وزواج الابنة الكبرى من فقير سكير يواصل معها سيرة الظلم والإيذاء النفسي والجسدي^(٢٥). وهذه الشخصية هي الأم المسلمة زينب والجدّة أم زينب (صبيحة) التي تتولى حكاية بعض الأحداث في المضمون ذاته لياسمين، فهي ((تندب حظها العاثر وتقول إن القدر قد ظلمها قبل ثلاثين عاماً على ذنب لم ترتكبه هي بل ارتكبه أخوها جبار... وهي تقول إن جديّ عبد السلام (زوج صبيحة) أحسن معاملتها، بالرغم من أنها كانت فصلية، ولكنه بعد أن مات مدهوساً بقلابية طابوق، طلّعت أمه وأخته قهر الدنيا بنا... وجعلوا من أمك زينب وخالتك زمان تعملان في حظائر الأبقار)). و((قالت بيبي صبيحة (عن أبي ياسمين محمد) إنه كان أنيقاً حلواً في شبابه المتأخر، ولو كان قد خطب زينب في شبابه المبكر لوجدناه لُقطة من السماء، ولكنه تبهذل من لعب الريسز وتعلم الكفر هناك.. مسكينة أمك زينب أخذوها كالشروء.. والعوز اضطرنا إلى بيعها بمهر قدره ثمانمئة دينار بعد أن عجزنا عن تسديد ثمن بناء غرفة نحتمي بها من برد الشتاء وشموس الصيف، كنا في فقر مدقع فأخذوها منّا سداداً للدين.. بعناها إلى رجل أكبر منها بثلاثين عاماً.. وهي أيضاً كانت أكبر من عمرها... ألم تمنع أختها زمان من الرقص مع قمر خانم؟))^(٢٦).

٢. شخصية فاعلة، وهذه تقريباً لا تتكلم أو تروي لياسمين الساردة أي شيء، ربّما لأنّها ليس لديها تاريخ حزين أو مأساويّ ترويه لها، وإنّما تقوم بالأفعال اللازمة لتواصل الرواية وامتدادها زمنياً، وهذه الشخصية هي ماري الأم المسيحية التي تقوم بتربية ياسمين الابنة الخطأ المسلمة، وتسعى إلى استعادة ابنتها الأصلية من العائلة المسلمة والإبقاء على الابنة الخطأ حماية لها من مصير سيء قد يحلّ بها إن هي ذهبت للعيش مع العائلة المسلمة مكان ياسمين ابنتهم المستعادة، ثمّ العمل على أن تستكمل ياسمين دراستها، والعمل على أن تهاجر الأسرة كلّها إلى

خارج العراق نتيجة تأزم الوضع العراقيّ بعد ٢٠٠٣ والهجرة ومتابعة شؤون ابنتها ياسمين التي رفضت الهجرة وفضلت البقاء في العراق عبر زيارتها بين حين وآخر لمتابعة شؤونها ومشكلاتها مع زوجها الذي اختارته رغم عدم موافقة ماري. إنها وعلى أية حال تقوم بأفعال كثيرة. فهي ((تذهب إليه (إلى محمد أبي ياسمين الأخرى الحقيقيّ)... بدت متأكدة أنّها تستطيع إقناعه بما تريد.. لديها سحر خاص ولسان راقص جعلها تعبر الحاجز إليه... ستتوصل إلى حلّ لتفكيك تلك المشكلة وإيصالها إلى برّ الأمان)). و((ماري بذكائها الشديد كانت تراقبني عن بعد... أما عندما ظهر إبراهيم أخو هاجر في حياتي فقد حدثت فوراً أنني لن أهاجر معها إلى كندا... حاولت أن تزيج إبراهيم عن طريقي بطريقتها الذكية الخفية)). و((ماري الآن تريد البحث عن حريتها في مكان جديد.. تريد أن تهاجر فيتبعها أدور و عبد الأحد وياسمينتان))^(٢٧).

وتختلف الشخصيتان كلياً. فالأولى كلامية أما الثانية فهي فعلية. وتترتب على ذلك مجموعة من الخصائص المتصلة بكلّ من الشخصيتين حيث الأولى سلبية. فالجدة صبيحة تقول عن زينب ((الكبيرة كانت ذليلة فقيرة))^(٢٨) والثانية إيجابية فر((ماري التي تجري وتضحك وتقودني إلى نتيجة واحدة... هيّا إلى العالم))^(٢٩). الأولى ثابتة، فزينب ((عاشت مظلومة وماتت مظلومة)). و((المسألة الكبرى هي أن تتحرك زينب من مكان إلى آخر.. وعندما تريد عبور الكرخ إلى الرصافة تقدّم رجلاً وتؤخر أخرى))^(٣٠) والثانية متطورة ((صاخبة بالحركة)) و((بكلّ سهولة تنتقل... من مكان إلى مكان... بقيت في الأردن ثلاثة أعوام قبل أن تطير إلى كندا... أصبحت تزورني للإطمئنان على زوجي))^(٣١). الأولى تموت ((زينب المظلومة ماتت))^(٣٢) والثانية تستمر في الحياة. الأولى تخسر ابنتها (فتموت لذلك حزينة) ((أمي زينب قد ماتت وهي تدري بأنني لست ابنتها))^(٣٣) كما تخسر الثانية، ((قالت (الخالة زمان) لماري إنه (أي الأب) مطمئن عليها (ياسمين ابنته) معكم ما دامت مريضة وتحتاج إلى علاج مستمر، ومطمئن عليها أكثر ما دامت مع ابنته الأخرى ياسمين التي يثق بخلقها وأدبها))^(٣٤)، والثانية تريح البنّين ((تمسكت ماري بياسمينها))^(٣٥). الأولى تُروى حكايتها والثانية تهتم بمصير عائلتها وحياتهم. الأولى تعيش في الماضي ((أمي زينب كانت فصلية ابنة فصلية، وابنتها ستكون فصلية أيضاً))^(٣٦). والثانية تعيش للحاضر والمستقبل ((ماري أفكارها واضحة عن كلّ شيء.. ترسم صورة للفكرة كما هي موجودة في رأسها لا كما يجب أن تكون))^(٣٧). الأولى تسبب الفشل لمن يعيشون معها أو يصغون إليها فياسمين تفشل لأنّها تختار

زوجها بحساسية زينب وعاطفتها ((وكأنّ روعي قد أصبحت شظايا متناثرة تعجز قبضة جسدي عن الإمساك بها))^(٣٨). والثانية تساعد من يقتدون بها على الحياة حياة أفضل. الأولى تصنع الرواية أما الثانية فتقترح الحلّ.

النوعان من الشخصيات في داخل المشهد تسهمان في تشكيل العالم الروائيّ، فالأولى تمده بالسرود والثانية بالأفعال اللازمة لخلق الحبكة والتشويق الضروريّ للتواصل مع القراء، ولإبداء الموقف. ومن ثمّ تسهمان في إقامة مساحتين مختلفتين ومتضادتين تماماً ضروريتين للتمثيل للراهن العراقيّ الحاليّ بمشكلاته التي ترجع في مجملها إلى تمايزات الإنتماء الدينيّ والمذهبيّ، وإنتاج موقف من ذلك الراهن. وكلّما زادت حدّة الاختلافات بين النوعين ازدادت قدرة النوع الثاني من الشخصيات على الفاعلية والتأثير.

أما النوع الثاني من الشخصيات فهو المقصور على الساردة أو الذي تمثله ياسمين الساردة التي تتخذ لها موقعاً في العالم الروائيّ من خارج الأحداث (أو المشهد) وهو يبدأ قديماً وصدفياً وعبثياً، لأنّه نادر الحدوث. فمن النادر جداً أن يجري تبديل طفلتين تُولدان في ذات اليوم في المستشفى ذاته وتُسميان بالاسم نفسه مصادفة فتأخذهما الممرضات للمشاركة في احتفالية تُقام بمناسبة المواليد في يوم ٢٩/شباط الذي يأتي كلّ أربع سنوات ثم تعيدانهما متبدلتين، فتقع ياسمين ابنة العائلة المسيحية للعائلة المسلمة والعكس^(٣٩).

ولكنّ هذا الموقع القديريّ الذي بدأ سلبياً في المرحلة الأولى من حياة ياسمين وحيث كانت جزءاً من الأسرة المسلمة التي اخضعتها لرقابة شديدة ولزّيّ إسلاميّ، وراقبت كلّ تحركاتها وحددتها في دائرة الإستماع لمرويات نساء العائلة متشابهات الظروف والمصائر... مع كلّ ذلك تتحول فيما بعد إلى موقع إيجابيّ فعّال، أخذت دور المراجعة لسرديات القهر في ظروف ياسمين الجديدة التي وفرت لها فرصة إختبار تلك السرديات عملياً من خلال الإصرار على خيارها، ورفض الإنصياع لرغبة الأمّ الأصلية ماري، لتتحول إلى دور الفعل فهي تنزوج من تريد، وتعيش معه، ثم ترفضه لمحاولاته إعادتها إلى دورها القديم ((كان إبراهيم يتحدث عن ملكه الذي يجب ألاّ يصافحها أحد... قال لي إليسي الحجاب ولا تجلسي منفردة مع الأجنبيّ... ودارت الأيام وصار شعري بالنسبة له أهمّ شؤون حياته على الإطلاق.. أصبح ينظر إليه كما كان أبي ينظر إليه فعرفت أنّه سيعصر ياسمين مثل الخرقه))^(٤٠). وإلى ما كانت عليه في عائلتها المسلمة وفي سرديات القهر الذي وجدت أمّها زينب

عليه، متكلمة غير فاعلة. لتطلب الطلاق وتصرّ عليه، ولتأخذ زمام تربية ابنتها الوحيدة المعاقبة عقلياً، ولتقرر مواجهة وضع الابنة للوصول بها إلى مستقبل مختلف غير ذلك الذي أريد لهنّ معاً. إنّ رواية من هذا النوع، وكما تقول يمني العيد في معرض حديثها عن رواية الظل والصدى ليويسف حبشي الأشقر، تهئى لكتابة تستعيد موقع الفاعل في علاقتها بموضوعها. فمقابل انسي يبرز اسكندر في صورة فاعل وكأته خارج المشهد^(٤١). ومقابل زينب وماري اللتين تبدوان شخصيتين رئيسيتين تمثلان قطبين مختلفين ومتضادين في كلّ شيء، وداخل المشهد تسهمان في رسم عالم الرواية، وتحركان السرد والأحداث، هناك ياسمين التي تبدو أولاً خارج المشهد كلياً، وبطريقة عفوية وقدرية، لتكون، في البداية، غير مؤثرة لا فعلاً ولا سرداً، ولكنها تتحول إلى شخصية فاعلة لقدرتها النسبية على التحرك بين القطبين أو المساحتين بحرية ومن دون ممانعة أو رقابة أو رفض من الطرفين، ولتمسكها بموقعها المتفرد رافضة الإنتماء لأيّ دور من أدوار الشخصيات داخل المشهد أو المساحتين المتميزتين دينياً وإجتماعياً وثقافياً. فهي ترفض الإنتماء الكلي لسرديات الأمّ الخطأ والذوبان فيها، كما ترفض القيام بأفعال الأمّ الأصلية، أو ما تريده منها، لتقيم سرديتها الخاصة بها من خلال التجربة، وتحمل مسؤولية الخطأ والرغبة في معالجة نتائجه وصولاً إلى اقتراح حلّ يبدو رمزياً، ولكنّه واضح يقوم على الإرادة الفردية والحريّة الضروريتين لإقامة الحياة الفردية أو الإجتماعية على السواء.

على سبيل النتائج:

لقد ساعد ذلك التنوع في المواقع للشخصية داخل الرواية على:

- تشكيل المساحات الروائية الرئيسية التي تنتج السرد والدلالة، أو ستقوم بتمثيل الراهن العراقيّ الذي لا تستطيع رواية عراقية أن تتخطاه لحدّاته ولحجم حضوره الإنسانيّ والثقافيّ في الحياة العراقية في هذه الحقبة. فمن خلال زينب وماري اتضحت الفواصل الدقيقة والحادة المتغايرة التي ينطوي عليها المجتمع العراقيّ، مُشاراً إليها من خلال أسرتين تشكل الأنثى في أحدهما الموقع الأدنى فعلياً ولكنّه الأكثر تأثيراً عاطفياً وسردياً. بينما تشكل في الثانية الموقع الأعلى فعلياً، ولكنه الأقل تأثيراً سردياً وحتى واقعياً. فالأمّ سرعان ما تنسحب من حياة ياسمين بهجرتها من العراق بعد تصاعد الأحداث السيئة فيه.

- زيادة فاعلية الساردة التي تأخذ سردياً موقعها من عدم انتمائها النهائي إلى واحدة من المساحتين المتميزتين داخل العالم الروائي، فهي في الأصل تنتمي إلى الأسرة المسيحية أي بالدم، وبالتربية والنشأة تنتمي إلى الأسرة المسلمة. هي سردياً تنتمي إلى زينب التي تحبّ حكاياتها، وتعشق تمازجها العاطفي مع وجودها. فذلك تقول لها إنها ستموت إذا أخذها أحدهم منها، أو إذا ضاعت هي منها لأيّ سبب^(٤٢). بينما تنتمي في الفعل إلى ماري التي تُفضل أن تقرر وتختار الحياة الأفضل، وإن كانت هي بطريقة ما لا تهمل قلبها ورغبتها وإحساسها، فهي تميل إلى تجربة الحياة واكتساب الخبرة من خلال ذلك. ولذا تُقدّم على الزواج ممن تحبّ، وتختار بقلبها رغم عقلانية ماري وتحذيراتها. فهذا سيجعلها أقدر على التصرف، وتحمل المسؤولية، وعيش حياتها بطريقتها لا كما يرسمها لها غيرها أيّاً كان، فنتحول إلى أداة بيد من يفكر لها ويختار لها.
- تقديم طرق متعددة للوجود والمعرفة والحياة تعكس واقع المجتمع وطبيعته وتسبغ على الرواية حيوية ضرورية لها، مع إظهار إمكانية ثانية فاعلة تمثلت بشخصية ياسمين التي كانت ومن خلال تنقلها بين الحدود الإجتماعية والدينية والثقافية تعمل على تدمير تلك الحدود وإبراز عيوبها ومشكلاتها لإثبات أنّ أيّ تحجر ضمن حدّ منها سيؤدي إلى نتائج سيئة. فالبقاء في دائرة زينب سيؤدي إلى الموت، وإلى الهزيمة، وإلى الخسارة. كما أن الانتقال إلى دائرة ماري لن يؤدي إلى غير التخلي عن أية رغبة في التميّز وإقامة الحياة الشخصية والنجاح في تخطي المشكلات المستجدة. وهي على أيّ حال لن تقدّم حلاً سوى الهجرة والفرار من الوضع القائم، الشيء الذي ترفضه ياسمين نهائياً.
- ستحيلنا هذه النقطة الأخيرة إلى واحدة من أهم ميزات هذه الرواية وهي تعدد الرؤى الشفيف، على طريقة تنفس الغزلان كما يصف إيكو^(٤٣)، الذي ينتج بهدوء ودون إعلان واضح أو من خلال تعدد الرواة المعتاد في الرواية العربية، وما يتطلبه من محاولات زائفة لتقديم وجهات نظر مختلفة شكلاً ولكنها في الغالب غير مقنعة سردياً وإنسانياً كما هو شأن الرواية التي تتبنى تعدد الرواة الظاهر تقنياً دون أيّ إثراء دلاليّ أو فنيّ حقيقيّ. إن الرواية عبر موقع ياسمين عملت على نقل وجهات نظر وطرق حياة وأفعال متنوعة من المجتمع، من دون تبني موقف محدد، أو رفض الآخر، أو تقديم تبريرات للرفض أو القبول، أو حتى إعلان طريقة حياة جديدة

ثالثة بصراحة وكردة فعل تجاه أيّ موقع من المواقع في الرواية أو أيّة شخصية من الشخصيات. بل إنّها تحركت بين الحدود بعفوية وتلقائية وأقامت فاعليتها دون ضجة ودون تيريرات كلامية ودون نفي أو نقض لأيّة جهة أخرى أو تصرف، لقد قامت بما يشبه إنتاج "إضعاف التعظيم الذاتي" الناتج من تعدد الرؤى والمواقف وطرق العيش كما يقول كتاب الرّد بالكتابة^(٤٤)، وهو الأمر الذي تحتاجه الثقافة العراقية في هذه المرحلة تحديداً لتجاوز مأزقها الحاليّ. والأمر الذي أعتقد أنّ قلة من الروايات العراقية في العقد الأخير عملت عليه وبطريقة سردية عالية الموضوعية كما فعلت ميسلون هاديّ ومن خلال عنصر الشخصية الذي ظل في الرواية العراقية أسير التأطير الذهنيّ والتنميط المكشوف في الأكثر وفي حالات أخرى خاصة في الروبة التي كتبت ما بعد ٢٠٠٣ ظل ثانوياً وباهتاً تحت ثقل الحدث الجلل.

- افتراض إذا سُمح لي بأن أقرأ الرواية بطريقتي، أن ياسمين هي ما ينبغي أن يكون عليه المثقف، وتكون عليه الثقافة من تفكيك حالة التضخيم الذاتيّ التي تستولي على العقل العراقيّ في هذه الفترة وتتجه به إلى المزيد من الإحتراب والضعف، وفي مختلف المجالات، ولن يكون ذلك إلا من خلال إصغائه (أعني المثقف) واستفادته من السرديات المكوّنة للهوية العراقية على اختلافها لتقديم حلّ عمليّ للزامة الراهنة بغض النظر عن كارثية ما تنتجه (من حاضر متخلف عقلياً بل في كل شيء). ولكن لا بدّ من اقتراح بديل عمليّ من خلال الفصل بين السرديات التقليدية والقديمة والضرورية للتميز والإحساس وبين الآخر العقلانيّ وصاحب الحلول المُنفّذة من الهاوية، ولكن المجردة للذات من رغبتها الطبيعية في التفكير والإختيار والتجربة والوصول إلى الحلول المناسبة وتحمل نتائج التاريخ ونتائج التجربة الحالية بعيداً عن الانسماخ.

الهوامش

١. زينب وماري وياسمين (رواية)، ميسلون هادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١/٢٠١٢.
٢. يُنظر: سؤال الرواية في العراق "استفتاء"، مجلة الأقلام، س٢٨، ع٧٤-٨، تموز-آب-١٩٩٣.
٣. يُنظر: زينب وماري وياسمين (مذكور)، ١٥.
٤. السابق، ١١.
٥. السابق، ١٢٧.
٦. السابق، ٢٠٢.
٧. السابق، ٩٢.
٨. خطاب الحكاية "بحث في المنهج"، جيرار جنيت، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢/١٩٩٧، ص٢٥٦-٢٥٧.
٩. يُنظر: الهوية العراقية في انشطارها بين ثقافتين، سلمان زين الدين، جريدة الحياة البيروتية، نُشر بتاريخ ٢٠١٣/١/١٢. يقول الكاتب في إشارة إلى بعض مشكلات الحكمة في الرواية: ((وبعد سبعة عشر عاماً، تهتدي أسرة عبدالأحد المسيحية الغنية إلى ابنتها المفقودة ياسمين، بطلة الرواية وراويتها، التي تربت عند أسرة محمد المسلمة الفقيرة، من دون أن تقول الرواية كيف حصل ذلك، ما يُشكّل فجوة في مسار الأحداث)).
١٠. استفتاء حول حاضر ومستقبل الرواية العراقية، الأقلام، العدد ٥، س٢، شباط ١٩٧٧، ص ٦٩.
١١. السابق، خضير عبد الأمير، ٧١.
١٢. ميسلون هادي: أنظر إلى العالم من خلال هويتي كامرأة، حوار أجراه صفاء نيا، جريدة الصباح، العدد ٢٧٩٠ تاريخ ٢٠١٣/٤/٣.
١٣. النص السردي "نحو سيميائيات للإيديولوجي"، سعيد بنكراد، دار الأمان-الرباط، ط١/١٩٩٦، ٩٤.
١٤. السابق، ٩٤-٩٥.
١٥. سيميائيات أيديولوجية، د.حبيبة الصافي، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، سورية-دمشق، ط١/٢٠١١، ص١٤٣.
١٦. ينظر: تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠-١٩٣٨)، د. عبد المحسن طه بدر، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ص٤٦-٤٧. يقول المؤلف إن ((نزول المصريين إلى ميدان النتائج

- الروائي ومنافستهم للمهاجرين من الشوام ومحاولة استغلال الأشكال الروائية العربية القديمة (جاء) للتعبير عن أفكارهم الإصلاحية)).
١٧. دافع محفوظ عن الفصحى في الرواية بشدة، ينظر: التعبير الأدبي وصورة الواقع عند نجيب محفوظ، سامي خشبة، مجلة نزوى، شهر ٦، ٢٠٠٩.
١٨. الشخصية والقول والحكي في لعبة النسيان لمحمد برادة "دراسة نصية"، محمد معتصم، مطبعة الإتحاد الأخوي، ط ١/١٩٩٥، ص ٣. وبخصوص مقولة الشخصية كائن من ورق فهي مشهورة عن البنيويين. راجع: مستويات دراسة النص السردي "مقاربة نظرية"، د. عبد العالي بو طيب، مطبعة الأمنية، الرباط، ط ١/١٩٩٩، ص ٤٣ وما بعدها. وراجع أيضاً: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحداني، المركز الثقافي العربي، ط ٣/٢٠٠٠، ص ٥٠ وما بعدها.
١٩. يُنظر: الرواية العربية "النشأة والتحول"، د. محسن جاسم الموسوي، دار الآداب - بيروت، ط ٢/١٩٨٨، ص ٤٦.
٢٠. يُنظر: نظرية الرواية في الأدب الإنكليزي الحديث، دراسات بقلم هنري جيمس وآخرين، تر: د. أنجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤، ص ٥٦. وتري وولف ((أن الشخصية أساس الرواية وأن الشكل الروائي قد خلق للتعبير عن الشخصية)).
٢١. أركان القصة، ا.م. فورستر، ترجمة: كمال عياد جاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١. يقول فورستر في ص ١٠٣: ((إن أساس الرواية الجيدة هو خلق الشخصيات، ولا شيء سوى ذلك)).
٢٢. ينظر: السابق، ١٦٣-١٦٥. تحليل لشخصية (ميتا) في الأخوة كراموزوف، وإظهار لأوجهها الإنسانية المختلفة. ويظهر في المقطع الروائي (ميتا) المتهم بقتل والده مع مجموعة من الأشخاص وهم يراجعون شروط اتفاق للمرة الأخيرة، وقام ميتا رقد على صندوق كبير مغطى بسجادة، وفي الحال استغرق في النوم، ورأى حلماً غريباً.. كان مسافراً في مجاهل الصحراء الروسية وكان يركب عربة يجرها زوج من الخيل يقودها فلاح، وعلى مسافة كانت هناك قرية، وكان يستطيع أن يرى الأكواخ المحترقة، وكانت هناك فلاحات اجتمعن على جانب الطريق نساء كثيرات كلهن مخيفات واهنات وقد غطى لون بني وجوههن وخاصة امرأة عجفاء وكان بين ذراعيها طفل صغير يبكي وقد بدا ثدياها جافين ليس فيهما قطرة واحدة من اللبن. واستمر الطفل في بكائه ومد يديه الصغيرتين بقبضتيهما الصغيرتين الزرقاوين من

البرد. وسأل ميتا وهم يندفعون في مرح لماذا يبكون؟ لماذا يبكون؟ فأجاب السائق إنه الرضيع.. إن الرضيع يبكي. وسأل ميتيا بإصرار وغباء ولكن لماذا يبكي؟ ولماذا يتركون ذراعيه الصغيرتين عاريتين؟ لماذا لا يغطونهما؟ ماذا؟ لأنهم فقراء، أنت عليهم النار. ليس لديهم خبز. إنهم يسألون الناس في الطريق لأن النار أحرقت دورهم. وبدا ميتيا وكأنه لا زال لم يفهم، كلا.. كلا.. لماذا لم تقف؟ هؤلاء الأمهات الفقيرات هناك. لم يكون الناس فقراء؟ لماذا يكون الرضيع فقيراً؟ لماذا تكون مجاهل الصحراء جرداء؟ لماذا لا يحتضنون بعضهم البعض ويتبادلون القبل؟ لماذا لا يغنون أغاني المرح؟ ولماذا اسودت وجوههم هكذا من البؤس الحالك؟ لماذا لا يطعمون الرضيع؟ ورغم أن أسئلته كانت خالية من من العقل والشعور إلا أنه أحس بأنه يريد أن يوجهها فقط. وعندما يستيقظ ميتا يجد تحت رأسه وسادة لم تكن تحته عند نومه ولذا يشعر بالرحمة والشفقة وبيكي فرحاً.

٢٣. الرواية الغائبة، محمد خضير، "مجلة آفاق ادبية"، ١٤، كانون الثاني-شباط-آذار، ٢٠١٢، ص ٢، ص ٦٥.
 ٢٤. يُنظر: الرواية العراقية في العقد الأول من القرن "واقع وحقائق ومؤشرات"، د. نجم عبد الله، صحيفة المدى، مقال منشور بتاريخ ٢٠١٢/٩/٩، يقول د. نجم: ((يجب أن نعرف أن عدد الروايات الصادرة خلال فترة عشر سنوات ممتدة من ٢٠٠١ إلى ٢٠١٠ هو ٣٠٠ رواية تقريباً. ولكي يميز القارئ ما يعنيه هذا من ناحية الأهمية والدلالة...)).

٢٥. زينب وماري وياسمين (مذكور)، ٧١-٧٢.

٢٦. السابق، ١٥ و ١٣٣.

٢٧. السابق، الصفحات: ٧٠ و ١٠٩ و ١١٨.

٢٨. السابق، ١٥.

٢٩. السابق، ٦١.

٣٠. السابق، الصفحات: ٤٤ و ١٣٢.

٣١. السابق، الصفحات: ٩٤ و ١٣١.

٣٢. السابق، ٤٤.

٣٣. السابق، ٣٦.

٣٤. السابق، ٩٢.

٣٥. السابق، ٦٩.

٣٦. السابق، ٧١.

٣٧. السابق، ٣١-٣٢.
٣٨. السابق، ١١١.
٣٩. السابق، ١٢٢.
٤٠. السابق، ١١٥-١١٦.
٤١. الكتابة تحول في التحول، د. يمنى العيد، دار الآداب-بيروت، ط١/١٩٩٣، ص٦٩.
٤٢. زينب وماري وياسمين (مذكور)، ٩٤.
٤٣. آليات الكتابة السردية، أمبرتو إيكو، تر: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١/٢٠٠٩، ص٤٨. يقول إيكو: ((هناك روايات تتنفس مثل الغزلان وأخرى مثل فيل أو حوت)).
٤٤. يُنظر: الرد بالكتابة "النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، بيل أشكروفت وآخرون، تر: د. شهرت العالم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١/٢٠٠٦. ويتحدث الكاتب عن امتداد الشخصيات الروائية وما يترتب عليه من تعقيد للعلاقات ووجود طرق عديدة للوجود والمعرفة ((والأفعال لتدمير إقامة أية فكرة أو طريقة واحدة للوجود على نحو بديهي)) ص١٧١. وهي آلية يسميها الكتاب في مكان آخر "الإزاحة عن المركز" ((التي تنتج من تعدد الرؤى لإضعاف التعظيم الذاتي)) ص١٧٢.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

١. آليات الكتابة السردية، أمبرتو إيكو، تر: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١/٢٠٠٩.
٢. أركان القصة، ا.م. فورستر، ترجمة: كمال عياد جاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١.
٣. بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحداني، المركز الثقافي العربي، ط٣/٢٠٠٠.
٤. تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠-١٩٣٨)، د. عبد المحسن طه بدر، دار المعارف، القاهرة، ط٥.
٥. خطاب الحكاية "بحث في المنهج"، جيرار جنيت، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢/١٩٩٧.

٦. الرد بالكتابة "النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، بيل أشكروفت وآخرون، تر: د. شهرت العالم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١/٢٠٠٦.
٧. الرواية العربية "النشأة والتحول"، د. محسن جاسم الموسوي، دار الآداب - بيروت، ط٢/١٩٨٨.
٨. زينب وماري وياسمين (رواية)، ميسلون هادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١/٢٠١٢.
٩. سيميائيات أيديولوجية، د. حبيبة الصافي، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، سورية-دمشق، ط١/٢٠١١.
١٠. الشخصية والقول والحكي في لعبة النسيان لمحمد برادة "دراسة نصية"، محمد معتصم، مطبعة الإتحاد الأخوي، ط١/١٩٩٥.
١١. الكتابة تحول في التحول، د. يمنى العيد، دار الآداب-بيروت، ط١/١٩٩٣.
١٢. النص السردي "نحو سيميائيات للإيديولوجيا"، سعيد بنكراد، دار الأمان-الرباط، ط١/١٩٩٦.
١٣. نظرية الرواية في الأدب الإنكليزي الحديث، دراسات بقلم هنري جيمس وآخرين، تر: د. أنجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤.

ثانياً: الدوريات:

١. استفتاء حول حاضر ومستقبل الرواية العراقية، الأقلام، ع٥٤، س٢، شباط، ١٩٧٧.
٢. التعبير الأدبي وصورة الواقع عند نجيب محفوظ، سامي خشبة، مجلة نزوى، شهر ٦، ٢٠٠٩.
٣. الرواية العراقية في العقد الأول من القرن "واقع وحقائق ومؤشرات"، د. نجم عبد الله، المدى، مقال منشور بتاريخ ٩/٩/٢٠١٢.
٤. الرواية الغائبة، محمد خضير، مجلة آفاق أدبية، ع١٤، كانون الثاني-شباط-آذار، ٢٠١٢، س٢.
٥. سؤال الرواية في العراق "استفتاء"، مجلة الأقلام، س٢٨، ع٧٤-٨، تموز-آب، ١٩٩٣.
٦. ميسلون هادي: أنظر إلى العالم من خلال هويتي كامرأة، حوار أجراه صفاء نياب، جريدة الصباح، العدد ٢٧٩٠ تاريخ ٣/٤/٢٠١٣.
٧. الهوية العراقية في انشطارها بين ثقافتين، سلمان زين الدين، جريدة الحياة البيروتية، نشر بتاريخ ١٢/١/٢٠١٣.